باجس ابو عطوان ، يفكر في شيئين :

في الكلمات التي قالها الحاكم العسكري الاسرائيلي للمقاتل الجبلي : يوسف اسماعيل مصطفى العواودة حينما وقع في يده ـ أسيرا ـ

ـ الم يبق لديك خبز ...

وكان يفكر ايضا ، في المصيدة التي نصبها المحتلون ، لعلي ابو مليحة ، حين كان يبحث عن ذخيرة ... فظل يقاتل وهو في الكمين ، حتى سقط في مكان اسمه : « ابو خروبة » ... الخبز لغم المقاتل الجبلي ... والرصاص لغم بندقيته ... وفي بعض الاحيان يوجد الخبز ولا توجد الذخيرة ...

وحينما تجوع البندقية ، تصبح حياة ... الجبل في خطر ... وها هي ذي بندقيته ، قد بدأت يوما ... من أيام الجوع ... وعليه ان يبحث لها عن طعام جديد .

[٩]

ـ « مات البطل ...

ـ عاش الجبل ... »

« علي ابو مليحة » ، لماذا يلح عليه هذا الاسم الان ... في صورة استشهاده الاخيرة ... ، في « أبو خروبة » ... وهو يبحث عن طعام جديد لفم بندقيته ...

لقد عاش ثلاثة أسابيع على الحشائش الخضراء الطرية وعلى الاعشاب الجافة... وفي استطاعته ، ان يعيش عشرة اسابيع اخرى ، ليس على الحشائش فقط ، ولكن على قضم الحطب أيضا ... غير أن البندقية لا تستطيع أن تعيش لا على الحشائش ولا على الحصى ... فلقد كان باجس ابو عطوان ، يحس أن يده تخون البندقية ، حينما تمر عربة دورية ، من عربات دوريات الاحتلال والبندقية صامتة في يده ...

باجس ابو عطوان ، ما الذي سوف تفعله الان ...؟

شريط طويل من الصور يمتد امامه ، مسلسل المعارك التي قد خاضها ... ومسلسل السنوات الاربع التي أمضاها في الجبل ... ومسلسل « أبو علي » راعي الغنم ، الذي ولد له ثلاثة أطفال ... وهو معه ... في الجبل ...

كل شيء يمر امامه الان ... ولم يبق معه غير حفنة من الرصاص ، لا تكفي لغير وجبة غذاء واحدة لبندقيته ... وباجس ابو عطوان يعرف ، ان البندقية حينما لا تجد ما تأكله ، تموت يد صاحبها ...

انه الموت اذن ... ولكن على طريقة الجبل الفلسطيني ... ، لقد كان يرفض ان يدفن القتلى من المقاتلين في الجبال ... ، وكان يقول دائما لمقاتلي المجموعة الجبلية التي يقودها :

ـ اذا كانت حياتنا سرية الى أقصى درجات السرية في الجبل ، فيجب ان يكون موتنا في أعلى مراحل العلنية ... يجب ان يعرف الفلاحون ، ان هناك من يسقط من أجلهم ... ، يجب ان تكون قبورنا على مرمى عيونهم ...

● ●

انه الموت اذن ... ولكنه يعرف ان الجبل لم يخذله ، ولم يخذله الفلاحون ... ولم تخذله رؤيته ...